روى ابن أبي الدنيا باسناده عن وهب بن منبه قال : وجدت في زبور داود عليه السلام : ياداود هل تدرى من أسرع الناس ممرا على الصراط ؟ الذين يرضون بحكمى والسنتهم رطبة من ذكرى *

﴿ الباب التاسع والعشرون ﴾

(فى ذكر سعة رحمة الله ومن مات على التوحيد)

قال الله تعالى : (ورحمتى وسعت كل شئ) وفى الصحيح أن النبى ﷺ قال : « يجئ يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى » وقد تقدم فى حديث أبى هريرة « لكل أحد منزل فى الجنة ومنزل فى النار فالمؤمن اذا دخل الجنة خلفه الكافر فى النار لاستحقاقه ذلك بكفره » كما ورد فى الصحيح « هذا فكاكك من النار » وهذه بشارة عظيمة للمسلمين أجمعين . حتى قال الشافعى وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما : هذا الحديث أرجا حديث للمسلمين لما فيه من التصريح بفداء كل مسلم . وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد مرفوعا . الى أن قال فيه : « فيقال أخرجوا من عرفتم » — يعنى من النار — فتحرم صورهم على النار ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، وقد أخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه . فيقولون : ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به ؟ فيقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً . الى أن قال : ثم يقال : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، وكان أبو سعيد الخدرى يقول : إن لم تصدقونى بهذا الحديث ، فاقرؤا إن شئتم (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها) الآية . فيقول الله : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها

قوماً لم يعملوا خيراً قط ، قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له : نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل . قال : فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم ، يعرفهم أهل الجنة ، هؤلاء عتقاء الله ؟ الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه ، ثم يقول : ادخلوا الجنة ، فما رأيتموه فهو لكم . فيقولون : ربنا أعطيتنا مالم تعط لأحد من العالمين ، فيقول : لكم عندى أفضل من هذا . فيقولون : ربنا وأى شئ أفضل من هذا ؟ فيقول : رضائى فلا أسخط عليكم بعده أبداً » وفى حديث أنس بن مالك ، ذكر فيه الشفاعة ، مرة بعد مرة ، وأنه ﷺ . قال : « فى الآخرة فأقول رب ،أى رب إئذن لى ، فيمن قال لا إله إلا الله . فيقول الله : وعزتى وجلالى ، وعظمتى وكبريائى ، لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله » وفى رواية مسلم « ليس ذلك لك أو إليك » الحديث.

﴿ فصل ﴾

وقد أخبر تعالى : أن رحمته وسعت كل شئ ، وأنه كتب على نفسه الرحمة وقال : سبقت رحمتى غضبى ، وغلبت رحمتى غضبى ، فالجنة دار رحمته ، والنار دار غضبه ، فثبت أن الجنة ينشئ لها خلقاً فى الآخرة ، ويدخلها أيضاً من دخل النار أولا ، ويدخلها الأولاد بعمل الآباء ، فثبت أن الجنة يدخلها من لم يعمل خيراً قط ، وثبت أن النار لا يعذب أحد فيها بغير ذنب ، فرحمته واسعة . حتى أن جماعة من المفسرين ذكروا قصة فرعون . قال جبريل : يامحمد لو رأيتنى وأنا أدس الطين فى فى فرعون مخافة أن يقول فرعون كلمة يرحمه الله بها . فهذا جبريل من أعظم رسل الملائكة قد علم سعة رحمة الله فعمل ذلك مخافة إدراك الرحمة له ، مع أنه قال : (أنا ربكم الأعلا)

﴿ فصل ﴾

ومما ينبغى أن يعلم ،أن مذهب أهل السنة والجماعة من السلف والخلف ، أن من

مات موحدا أدخل الجنة قطعاً على كل حال ؛ فان كان سالما من المعاصي كالصغير ، والمجنون الذى اتصل جنونه بالبلوغ ، والتائب توبة نصوحا صحيحة من الشرك ، أو غيره من المعاصى اذا لم يحدث معصية بعد توبته ، ومن نشأ فى عبادة الله ولم يقارف معصية أصلا ، كل هؤلاء يدخلون الجنة ولا يدخلون النار ، لكنهم يردونها على الخلاف المعروف فى الورود . والصحيح إن شاء الله تعالى على ماذكره جماعة من العلماء ، أن المراد بالورود المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم ؛ أجارنا الله من حرها وبردها

وأما من مات من أهل المعاصى ، أوله معصية كبيرة ولم يتب منها ، فهو داخل تحت مشيئة الله ، إن شاء عذبه بمقدار ذنبه أو اقدر الذى يريده ثم يدخله الجنة ، وإن شاء عفا عنه مطلقاً ، فلا يخلد أحد فى النار مات على التوحيد ، ولو عمل من المعاصى ما عمل ، وهـذا من أحسن ما يتسلى به من مات له قريب أوصاحب من أهل المعاصى ، ومات وما يعـلم هل تاب من المعاصى أم لا ؟ قال أبو زكريا النواوى رحمه الله : وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به على هذه القاعدة ، وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم للقطعى[1] بذلك انتهى كلامه *

ويؤيد ذلك بما ثبت فى الصحيح من حديث عثمان رضى الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات وهو يعـلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة » . قال القاضى عياض : اختلف الناس فيمن عصى الله تعالى من أهل الشهادتين ، فقالت المرجئة : لا تضره المعصية مع الايمان . وقالت الخوارج ! تضره ويكفربها . وقالت المعـتزلة : يخلد فى النار اذا كانت كبيرة . ولا يوصف بانه مؤمن ولا كافر لكنه فاسق . وقالت جماعة من العلماء : بل هو مؤمن وان لم يغفر له ، وإن عذب فلا بد من إخراجـه من النار ، وادخاله الجنة . قال : وهـذا الحديث حجـة على الخوارج

---

(١) كذا بالاصل ، ولعله يحصل بها العلم القطعى .

والمعتزلة ، وأما المرجئة فان احتجت بظاهره قلنا : نحمله على أنه غفر له وأخرج من النار بالشفاعة ، ثم أدخل الجنة ، ويكون معنى قوله عليه السلام : « دخل الجنة » أى دخلها بعد مجازاته بالعذاب . وهذا لابد من تأويله لما جاء فى ظواهر كثيرة من عذاب بعض العصاة . انتهى كلامه

ومن هذا الباب ماثبت فى الصحيح أن أبا الاسود الديلى حدثه أبا ذر قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو نائم على قميص أبيض ، ثم أتيته فاذا هو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ ، فجلست اليه . فقال : « ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة » قلت : وإن زنا وإن سرق؟ قال « وإن زنا وإن سرق » قلت : وإن زنا وإن سرق ؟ قال : « وإن زنا وإن سرق » ثلاث مرات . ثم قال فى الرابعة : « على رغم أنف أبى ذر » قال : فخرج أبو ذر وهو يقول : وإن رغم أنف أبى ذر ، وفيه رد على الخوارج ، وعلى المعتزلة بتخليد أهل الكبائر فى النار * وفى رواية للبخارى أن رسول الله ﷺ قال : « أتانى جبريل فقال من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة . قلت : وإن زنا وإن سرق » وهو من حديث أبى ذر . وفى الصحيح من حديث جابر أن النبى ﷺ قال : « من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار » وفى لفظ « من لقى الله لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة » وفى رواية « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة » وفى لفظ « من شهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله دخل الجنة » وفى حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » وعنه أيضاً مرفوعا « من لقى الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة » وفى رواية « ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا حرمه الله على النار » وزاد فى صحيح البخارى ومسلم من حديث عبادة بن الصامت « على ما كان من عمل » وفى صحيح البخارى

ومسلم من حديث أنس أن نبي الله ﷺ ومعاذ بن جبل رديفة على الرحل ، قال: يامعاذ ، قال : لبيك وسعديك يارسول الله ، قال : يامعاذ ، قال : لبيك وسعديك يارسول الله ، قال : يا معاذ قال : لبيك وسعديك يارسول الله ، قال : « ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار » قال : أولا أخبر بها الناس فيستبشروا ؟ قال : « إذا يتكلوا » فاخبر بها عند موته تأثما » ـ يعنى مخافة الأثم ـ وفى لفظ مسلم من حديث عبادة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار » وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك ؟ فذكره قال : « أسعد الناس بشفاعتى من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه » رواه البخارى * وعن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وإنى أختبأت دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله من مات من أمتى لايشرك بالله شيئا » رواه مسلم . وفى لفظ له « حرم الله على النار من قال لا إله إلا الله » وقد ورد فى ذلك عدة أحاديث ، وغالب هذه الأحاديث سردها مسلم فى صحيحه فى باب واحد ، فى باب الدليل على صحة اسلام من حضره الموت . لكن قال سعيد بن المسيب عند سماعه هذه الأحاديث : إن هذا قبل نزول الفرائض والأمر والنهى . وهذا القول عن سعد بن المسيب رحمه الله ليس بشئ . وقال بعض العلماء : هو خطأ ، لأن راوى أحد هذه الالفاظ أبو هريرة وهو متأخر الاسلام ، أسلم عام خيبر سنة سبع بالاتفاق ، وكانت أحكام الشريعة مستقرة ، كالصلاة والزكاة والصيام ونحوها ، فعلم ضعف هذا القول والله تعالى أعلم . وقال بعض العلماء : هى مجملة تحتاج الى شرح ، ومعناه : من قال الكلمة وأدى حقها وفريضتها . وهذا قول الحسن البصرى . وقيل : أن ذلك لمن قالها عند الندم والتوبة ومات على ذلك ، وهذا قول البخارى .

وقد تقدم فى أول الباب حملها على ظاهرها ، وأن مذهب السلف والخلف من الفقهاء وأهل الحديث على أن من مات موحداً دخل الجنة ، وإن كان من أهل المعاصى ، وأنه داخل تحت المشيئة . والله تعالى أعلم *

وعن أبى جعفر قال : لما حضر أبو زرعة الموت ، وعنده أبو حاتم ، ومحمد بن مسلم والمنذر بن شاذان وجماعة من العلماء ، هابوا أن يلقنوه الشهادة ، فقال بعضهم لبعض : تعالوا نذكر الحديث ، فقال محمد بن مسلم : حدثنا الضحاك عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح ، ولم يجاوز ، وقال أبو حاتم : حدثنا بندار عن أبى عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح ، ولم يجاوز ، والباقون سكوت ، فقال أبو زرعة : ثنا بندار عن أبى عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن أبى غريب عن كثير بن قرة الحضرمى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » ثم توفى من ساعته رحمة الله عليه *

وعن عبيد بن عياش قال : لما ماتت النوار امرأة الفرزدق ، شهدها الحسن البصرى ، فلما سوى عليها التراب : وثب الفرزدق لينصرف ، فقال للحسن : ياأباسعيد ، أما تسمع مايقول الناس ؟ قال : وما يقول الناس ؟ قال : يقولون : اجتمع فى هذه الجنازة خير الناس وشر الناس ، يعنونك ويعنونى ، فقال الحسن : ما أنا بخيرهم ، وما أنت بشرهم ، ولكن ما أعددت لهذا اليوم ؟ فقال ياأباسعيد ، شهادة أن لا إله إلا الله ، فبكى الحسن ، ثم التزم الفرزدق فقال : لقد كنت من أبغض الناس الى ، وإنك اليوم من أحب الناس الى *